كريم ثابت تجسس على الملك فاروق لصالح الإنجليز والأمريكان

د. رءوف عباس

27 مارس 1996

عرف "كريم" القصر من أيام فؤاد وأبعده حسنين عن "فاروق" وكان حريصا على صلته بالقصر وليس العكس

يشهد معرض القاهرة الدولى للكتاب كل عام صدور بعض الكتب المهمة التى تثير قدرا كبيرا من الاهتمام أحيانا، والفضول أحيانا أخرى.. من ذلك المذكرات التى نشرت هذا العام ونسبت إلى الزعيم مصطفى النحاس باشا، أثارت الكثير من الجدل حول حقيقة أصالتها، ثم مذكرات كريم باشا ثابت عن الملك فاروق " وخاصة السنوات العشر الأخيرة من حكمه " التى خرجت فى جزءين منفصلين، أو قل – إن شئت – كتابين : أحدهما بعنوان " فاروق كما عرفته " ، وثانيهما بعنوان " عشر سنوات مع فاروق 1942-1952 ".. وإهتم الأستاذ محمد حسنين هيكل بتصدير الكتاب الأول بمقدمة عن حاجتنا إلى إعادة تقييم حكم أسرة محمد على منذ عهد مؤسسها الأول حتى عهد " ملك النهاية " أى "فاروق".

ورغم ماهو معروف عن الأستاذ هيكل من معرفة "واسعة " بدقائق الأمور، إلا أن الذاكرة قد خانته عندما قال فى مقدمته: "ولم يكن هناك من يعرف أن الأستاذ كريم ثابت كتب مذكرات تركها بعد وفاته عام 1964. وإن كان معروفا أنه كتب بعد الثورة أربعة أو خمسة مقالات نشرتها له إحدى الصحف اليومية عام 1954.." فقد أدهشنى ألا يكون الأستاذ حسنين هيكل على علم بأن معظم ما جاء بالكتاب الثانى من المذكرات الذى حمل عنوان عشر سنوات مع فاروق "قد نشر على ثلاثين" (أكرر "ثلاثين") "حلقة بجريدة" الجمهورية " فى شهرى يونيو ويوليو عام 1955، بعد إطلاق سراح كريم ثابت من السجن حيث حكمت عليه محكمة الثورة ضمن أحكام صدرت بحق رجال الملك، وتحمل هوامش الكتاب إشارات تتضمن تواريخ نشر الفصول بالجمهورية، وذكر كريم ثابت عددها. وقال إنه كتبها أثناء وجوده بالسجن عندما أتيحت له فرصة إسترجاع شريط الذكريات، فهى فى حقيقة الأمر ذكريات وليست مذكرات، وشتان بين الإثنين، فالأولى يكتبها السياسى أو الشخصية العامة بعد انتهاء دوره على مسرح العمل العام وانطفاء الأضواء من حوله، أما الثانية فيعتمد صاحبها فى كتابتها على يومياته ويرجع إلى الوثائق المتصلة بالحوادث التى يتناولها بالعرض. الأولى تتخذ طابع التبرير، وتمثل دفاعا غير مباشر عن الشخصية ودورها. فتبدو معصومة من الخطأ. وتلبس ثياب الملائكة، على نحو ما فعل كريم ثابت، والثانية تعرض الإيجابيات والسلبيات وإن كانت لا تخلو أيضا من تبرير لمواقف معينة. ومن ثم يعد الكتاب الثانى " عشر سنوات مع فاروق " إعادة نشر لحلقات سبق نشرها بالجمهورية عام 1955 مع إضافات لا تزيد – من حيث الحجم – على ثلث الكتاب. أما الكتاب الأول " فاروق كما عرفته " فقد كتب – على ما يبدو – فى وقت لاحق حول رؤية كريم ثابت لشخصية فاروق. ولذلك تضمن تكرارا لمعلومات كثيرة جاءت بالكتاب الثانى، وكذلك بأماكن متفرقة بالكتاب الأول، ولكنها لا تلقى أضواء مهمة تضيف إلى معلوماتنا عن فاروق فى تلك السنوات التى عالجتها بعمق واقتدار المؤرخة المصرية الدكتورة لطيفة سالم فى كتابها " فاروق وسقوط الملكية فى مصر "، أو ما جاء بكتاب الكاتب الكبير الأستاذ محمود عودة " فاروق بداية ونهاية ".

أصول لبنانية

وكريم ثابت ينحدر من أسرة مصرية ذات أصور لبنانية. تنتسب إلى الكنيسة البروتستانتيه المشيخية، ولد بالخرطوم عام 1902حيث كان والده " خليل ثابت " يعمل بالصحافة هناك، واقتصر تعليم كريم عند نهاية المرحلة الإبتدائية بإحدى المدارس الكاثوليكية " الجزويت " وبدأ اشتغاله بالصحافة مع والده بالخرطوم، وعندما نزحت الأسرة إلى القاهرة عمل والده فى جريدة " المقطم " وكانت تربط الأب صلة المصاهرة مع اصحابها، وما لبث خليل ثابت أن أصبح رئيسا للتحرير فأتيحت لابنه كريم فرصة التألق كصحفى وكاتب عندما أجرى مقابلات صحفية مثيرة مع عدد من زعماء العصر مثل موسوليني وهتلر، وأتاتورك وكذلك معظم ملوك وأمراء ورؤساء العرب البارزين، وصحب فيصل الأول ملك العراق عند زيارته لإيران عام 1932، ونشر كريم ثابت عددا من كتب التراجم منها " الملك فؤاد، ملك النهضة " " عام 1944 " وكتاب آخر عن الملك فاروق نشر عام 1945. وقد نجح كريم ثابت – كصحفى صاعد – فى شق طريقه داخل دوائر القصر، بعدما جذب انتباه الملك فؤاد عندما رافقه فى رحلته إلى اوروبا عام 1927 وعرف الملك فاروق منذ طفولته، وليس بعد اعتلائه العرش، على نحو ما يشير فى كتابه، إذ كان من الصحفيين القلائل الذين يسمح لهم بالتردد على القصر

والإتصال بالبلاط، ولم يكن أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى يرتاح إليه، فلم يعد يسمح له بالتردد على القصر بعد وفاة الملك فؤاد. ولكنه لم يعدم السبيل للوصول إلى الملك الشاب والالتفاف حول الحظر الذى فرضه عليه حسنين باشا، غير أنه ما لبث أن أصبح نجم البلاط بعد مصرع أحمد حسنين باشا عام 1944.

كان كريم ثابت شديد الحرص على أن يكون له موقع بالقصر – إذن – منذ عهد فؤاد لسبب لابد أن تكون له وجاهته بالنسبة له. فلابد أن تكون صلاته العائلية بالمستشار الشرقى للسفارة البريطانية، والعلاقة التاريخية بين " المقطم " والإنجليز وراء ذلك الحرص الغريب، ولا يدفعنى إلى استنتاج ذلك ما يسمى " بالتفسير التآمرى للتاريخ "، فلست ممن يؤمنون به، ولكن بين يدى تقريرا حول كريم ثابت مرفوعا إلى الخارجية الأمريكية من السفير جيفرسون كافرى بتاريخ 18 يوليو 1952 يتضمن معلومات مفصلة عن كريم ثابت بمناسبة تعيينه وزيرا للدولة فى وزارة حسن سرى باشا جاء فيه ".. وكريم ثابت صديق للولايات المتحدة الأمريكية، وكان دائما من مصادر المعلومات المهمة للسفارة "، ولذلك لابد أنه كان – من باب أولى – من مصادر المعلومات المهمة للسفارة البريطانية أيضا.

ولذلك تناقض رواية حسن يوسف باشا التى نقلها لنا الأستاذ حسنين هيكل فى مقدمته الحقائق سالفة الذكر، إذ يزعم أن أحمد حسنين باشا هو صاحب فكرة تقريب كريم ثابت للقصر لفتح قناة اتصال مع الخارجية الإنجليزية من خلال المستشار الشرقى "سمارت" - الذى كانمتزوجاً من قريبة لعائلة ثابت – فى محاولة للالتفاف حول اللورد كيلرن بعد حادث 4 فبراير 1942 الشهير الذى أرغم الإنجليز فيه الملك على تكليف مصطفى النحاس باشا بتشكيل الوزارة وإلا فقد عرشه، وكلام حسن يوسف باشا يفتقر إلى الصحة والدقة، فلم تكن تلك أول فرصة لاتصال كريم ثابت بالعرش، كما أن حسنين باشا هو الذى قطع صلاته بالبلاطوفضلاً عن ذلك لم يكن السكرتير الشرقى للسفارة البريطانية يملك الإتصال المباشر بالخارجية البريطانية إلا من خلال السفير وبعلمه، وليس لدينا وثيقة واحدة تشير إلى غير ذلك. وأجدنىميالاً إلى تفسير رواية حسن يوسف باشا للأستاذ هيكل بما أمتاز به الباشا الذى كانوكيلاً للديوان من ولاء شديد للقصر لمسته فى احاديثى معه فى السنوات الأخيرة من حياته، ولعله أراد أن يدافع – من طرف خفى – عن تقريب مولاه لكريم ثابت، فجعل منه ضرورة سياسية أوهدفاً استراتيجياً ، ويتضح من كلام كريم ثابت نفسه مدى القلق والرعب الذى كان يشعر به فاروق عند ورود اسم كيلرن حتى أنه ما كاد يشرب نخب نبأ نقل كيلرن من مصر، ويصل الأمر إلى السفير البريطانى فيرسل له من يقول أن الخبر لا أساس له من الصحة حتى اصابه الفزع ولجأ إلى إحدى الأميرات حتى تسعى لإصلاح الأمور عن طريق علاقتها بزوجة كيلرن. فلو كان لعلاقة فاروق بكريم ثابت صلة بفتح قناة موازية مع السفارة لكان لكريم ثابت دور فى احتواء الموقف أو لكان على علم بمدى صحة واقعة نقل السفير.

التجسس على الملك

ولم يكن كريم ثابت مُميناً على أسرار القصر والملك، إذ كان يلتقى بصفة دورية مع ضابط إتصال بالسفارة الأمريكية يتحدث معه باستفاضة عن أخبار القصر والأوضاع السياسية فى مصر، ومن باب أولى أن تكون تلك الأخبارأيضاً متاحة عن طريقه أو عن طريق أسرته للسفارة البريطانية. ومن يقرأ ما كتبه كريم ثابت عن شخصية فاروق يتعجب ويتساءل عن الدافع الذى جعله يبقى إلى جانبه ويعمل معه "دون أن يتقاضى راتباً " إلا إذا كان صاحب مصلحة فى هذا الوجود داخل القصر وإلى جوار الملك.

لم يمض وقت طويل على مصرع أحمد حسنين باشا حتى أصبح كريم ثابت على رأس " شلة " الملك وهم من وصفهم حسن يوسف باشا بغير الرسميين فى البلاط، وضمت الشلة إضافة إلى كريم ثابت ادجار جلاد باشا والدكتور يوسف رشاد والياس اندراوس. وكانت الملكة فريدة تمقتهم ولا ترتاح لنفوذهم على الملك، وتطالبه بقطع صلته بهم،ورداً على موقف الملكة الذى سبب له الكثير من الضيق قام الملك بتعيين يوسف رشاد بالبلاط وعين زوجته ناهد رشاد وصيفة للملكة، كما خلق وظيفة المستشار الصحفى للديوان الملكى من أجل كريم ثابت. وبعد طلاق الملكة فريدة قام الملك عام 1949 بتعيين هيلانه سركيس زوجة كريم ثابت وصيفة الشرف بالقصر.

وأتاحت علاقة كريم ثابت بفاروق فرصة تحقيق مغانم مادية ذات قيمة، فكان عضوا بمجالس إدارات عدد من الشركات الكبرى، وعين مستشارا للإذاعة المصرية. ومن ذلك ما أثير بمجلس الشيوخ عام 1950 نتيجة استقالة محمود محمد محمود بك رئيس ديوان المحاسبة لرفضه تسوية الحسابات المالية لمستشفى المواساة بالإسكندرية، التى تبين حصول كريم ثابت على خمسة الآف جنيه بصفة عمولة حتى يسعى لدى وزارة المالية لتخصيص إعانة للمستشفى قدرها مائة ألف جنيه. وعندما أثيرت المسألة فى مجلس الشيوخ قدم كريم ثابت استقالته فلم يقبلها الملك، ودافعت عنه حكومة الوفد وضغط على مصطفى مرعى عضو مجلس الشيوخ فسحب استجوابه. ويزعم كريم ثابت فى ذكرياته أن الأمر كان بعلم الملك ولحسابه.

عداء شعبى

ولكن واقع الحال يشى بغير ذلك، فقد ازداد سخط الرأى العام على تصرفات الملك وأرجع الأخطاء التى يرتكبها إلى شلة القصر الفاسدة التى لا تهمها سوى مصالحها. ولما كان كريم ثابتمعروفاً بتأثيره الكبير على الملك، فقد حظى بنصيب الأسد من كراهية الرأى العام، وتمتع بنصيب وافر من عدم الشعبية. وكان هذا العداء الشعبى وراء إستقالة كريم ثابت "صيف 1951" التى أرسلها من أوربا على نحو ما جاء بتقرير السفارة الأمريكية سالف الذكر، فقد شن أقارب الملكة حملة شعواء ضده، ولما أحس بعدم استطاعته التصدى لهم وجد من الأفضل أن يقدم استقالته قبل أن يبادر الملك

بالإستغناء عنه تحت ضغط هؤلاء أو بسبب تزايد العداء الشعبى ضده، وبذلك ينسحب من القصرمؤقتاً ويعود - فيما بعد- عندما تخمد نار العداء ضده. مع بقائهمستشاراً للإذاعة المصرية وبقاء زوجته وصيفة بالقصر.

وقد صور كريم ثابت اتجاهه إلى الاستقالة فيما كتبه بذكرياته على أنه كانمدفوعاً إلى ذلك بعد يأسه من إمكان " إصلاح" فاروق الذى رفض الإستجابة لنصحه والعدول عن حياة المجون التى غرق فيها. وهو تبرير لموقفه، وبند من بنود دفاعه عن نفسه أمام محكمة الثورة.

ويتباهى كريم ثابت فى كتابه بأنه صاحب ما أسماه "السياسة الجديدة " وأنه نصح الملك بإنهاء حكم "وزارات القصر " التى كانت تحكم مصر منذ إقالة حكومة الوفد عام 1944، وأنه يجب إعادة الحياة النيابية الحقيقية من خلال إجراء انتخابات حرة، وأن من مصلحة البلاد أن يتم التوفيق بين الوفد والقصر، وأن التعاون بينهما كفيل بحل المشاكل السياسية والاجتماعية فى البلاد واسترداد الملك لشعبيته، وقد استجاب الملك له وأجريت انتخابات 1950 التى جاءت بآخر وزارة وفدية إلى الحكم، وبذلك قدم كريم ثابت نفسه للقارئ كداعية للديمقراطية ومقاوم عنيد لطغيان القصر، وهو أمر لا يقبله المنطق على ضوء الأوضاع السياسية والإجتماعية فى مصر منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

***

كانت مصر كلها تطالب بضرورة تحقيق الاستقلال الوطنى بعدما كشفت الحرب زيف "الشرف والاستقلال " الذى حققته بمعاهدة 1936 فقد انهكت موارد مصر الاقتصادية خدمة لبريطانيا وتعرض أمنها للخطر وانتهكت سيادتها الوطنية فى حادث 4 فبراير 1942، والتحمت الجماهير الشعبية فى 1946 مطالبة بالاستقلال والعدالة الاجتماعية، وزاد من الأزمة عجز الحكومات التى خلفت الوفد عن التوصل إلى حل للقضية الوطنية وتحقيق وحدة مصر والسودان، وجاءت حرب فلسطين 1948 ومهزلة قيام اسرائيل لتضيق الخناق على النظام مما أثار قلق القصر والإنجليزمعاً ، فلم يكن هناك مفر من فتح الطريق لعودة الوفد باعتباره القيادة التاريخية للعمل الوطنى الذى يستطيع أن يحل معضلة العلاقة مع بريطانيا.

ولا يعنى ذلك أن كريم ثابت لم يكن له دور فى تنفيذ تلك السياسة، ولكنه لا يمكن أن يكون صاحبها والموحى بها، ومن المنطقى أن تكون صلاته بالسفارة البريطانية "التى لا تجد لهاذكراً فى كتابيه " كانت وراء طرحه الأمر على الملك، كذلك كان له دور ملموس فى جعل الملك يتخلص من المرارة التى يشعر بها تجاه النحاس منذ حادث 4 فبراير 1942، وأن يقبل بهرئيساً للوزارة، والعدول عن فكرة تنحيته لصالح فؤاد سراج الدين، ولعل ذلك كان مطلب الإنجليز حتى يتم التفاوض على معاهدة جديدة مع مصطفى النحاس باشا صاحب الشعبية الذى سبق لهم العمل معه فى وقت الشدة زمن الحرب العالمية الثانية، وهو ما كان يفتقر إليه فؤاد سراج الدين باشا.

لقد كانت بريطانيالاعباً أساسياً على مسرح السياسة المصرية ومثل ذلك التحول فى سياسة القصر ما كان ليتم لو لم يكن لها يد فيه، بل ما كان الملك ليقبل به لولا إرتياح الإنجليز إليه واستعدادهم للموافقة عليه.

وهنا يناقض كريم ثابت نفسه عندما يحدثنا فى أواخر الكتاب عن حرص فاروق على بقاء الإنجليز فى مصر وتودده لهم بإعتبار أن وجودهم فيه ضمان لوجوده على العرش. ومن ثم عدم إرتياحه لفكرة إلغاء المعاهدة رغم اضطراره للموافقة عليها، وحرصه على الإطاحة بحكومة الوفد لوضع حد للكفاح المسلح فى منطقة القناة.

وصورة فاروق فى مرآة كريم ثابت صورة كريهة بالغة الغرابة، فهو إنسان معقد اعتلى العرش وهو فى السادسة عشرة من عمره ولم يكتمل بعد تعليمه أو تتوفر له خبرات كافية تتيح له ممارسة صلاحياته الدستورية الواسعة كما يجب، أشعره من حوله أنه صاحب القول الفصل فى كل شئ، فاستمرأ لعبة تعيين وإقالة الوزارات.... إلخ

لم يتمتع بالحياة التى يتمتع بها أقرانه فى تلك المرحلة العمرية ولذلك جاءت تصرفاته الصبيانية الشاذة منافيةتماماً لوضعه السياسى والاجتماعى، يتجلى ذلك فى عدم إهتمامه بملبسه ومأكله وحرصه على إحاطة نفسه بمظاهر كاذبة ليشيع عنه ما يشاع عن الرجال الذين حركوا الحياة فيحيط نفسه بالنساء رغم ضعفه الجنسى ويسهر فى البارات والكباريهات رغم أنه لا يعاقر الخمر، يأكل بشراهة شديدة وبصورة مقززة، مصاب بحب اقتناء ما عند الغير إلى درجة السرقة، وعندما زادت مشاكله فى السنوات الثلاث الأخيرة وجد السلوى فى القمار.

وهنا يقدم لنا كريم ثابت فاروق الذى يعانى من ازدواج الشخصية، فهو فى مقابلاته الرسمية يحرص على لعب دور الملك، فإذا انتهى منها كانشخصاً آخر له مواقف سياسية جيدة كملك ولكن سلوكه الشخصى المشين يهيل عليها التراب. فكأن فاروق الرجل يعمل ضد فاروق الملك، ومن ثم توقع الملك للثورة وأعد نفسه للهرب من البلاد عند وقوعها، فهرب أمواله. ورتب لنفسه البلاد التى من المحتمل أن يلجأ إليها. كانت إيطاليا لها الأولوية أما اسبانيا والبرازيل فكانت على قائمة الإحتياط.

ورغم أن ذكريات كريم ثابت لا تضيف إلى معلوماتنا التاريخية عن فاروقجديداً ، ولا تكشفسراً . إلا أن قراءتها ضرورية للشباب الذى لا يعرف شيئا عن ذلك العصر ويتأثر بنبرات الترحم على ما يسميه البعض "الزمن الجميل".